الفصل الثالث:

المتطوعون العرب في الحرب

ياسمين مجدي

" اكتشفنا أن كل إمرأة لا تجمع إلا من زيتونها بالذات، دون أن تمد يدها إلى زيتون الغير، رغم أن الأرض وما عليها قد تم الإستيلاء عليها "[١]. حكى ذلك عن فلسطين (١٩٤٨) التي اختلفت كثيرًا عن العراق، في حربه الأخيرة، حيث البيوت نهبت، والمتاحف دمرت. فهل كانت البداية في حرب ١٩٤٨، حين أرسلت الدول العربية متطوعين وجيوش افتقدوا المهارة اللازمة، فكُللوا بالفشل، ثم ما لبثت أن نفضت الدول العربية نفسها يدها من الحرب، فصار الزيتون مستباحًا.

بدأت الحكاية، منذ وصول لجنة الأمم المتحدة لتقصي الحقائق إلى فلسطين. وجاء تقريرها مؤكدًا على ضرورة إنهاء الإنتداب وتقسيم فلسطين[٢]. فقررت جامعة الدول العربية بدء المقاومة العسكرية، وطالبت الأقطار العربية بدعم، يشمل المال، والجيوش، والعتاد. وأنشئت لجنة، عرفت فيما بعد، باللجنة العسكرية[٣].

---

(١) رسمي أبو علي، **رواية الطريق إلي بيت لحم**، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ١٩٩١، ص٨٧. دارت الرواية حول أحداث ١٩٤٨.

(٢) د. عواطف عبد الرحمن، **مصر وفلسطين**، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ١٩٨٩، ص٢٥٠.

(3) David Tal, **War in Palestine, 1948: Strategy and Diplomacy**, USA,

لكن الخريطة، آنذاك، لم تبشر بخير، فالأقطار العربية منشغلة بما تعانيه من احتلال، بالإضافة لعدد من المشكلات الداخلية، التي عانت منها، مثل مصر، التي أربكتها حكومات الأقليات، فشغلت الشعب بقضية الدستور، عن الكفاح ضد الإحتلال البريطاني، الإحتلال نفسه، الذي وقف وراء عصابة الهاغاناة الصهيونية على أرض فلسطين.

حيال ذلك الموقف، كان الحل هو المتطوعين، الذين دعتهم اللجنة العسكرية بدمشق إلى الانخراط في جيش التحرير، الذي أسمته " جيش الإنقاذ " [1]. إلا أن هذا القرار النظري لم يطبَق، عمليًا، بالسرعة المطلوبة، ولم يُعين قائدًا لهذا الجيش، إلا في ١٩٤٧/١٢/٧، أي بعد مرور شهرين، شهد كل يوم فيهما تقدمًا لصالح العدو[2]. وكانت تلك بداية عجز مخطط الجامعة العربية، تلك الجامعة التي قامت في بدايتها، أصلاً، على خلافات.

اختلفت البداية في الحرب الأمريكية على العراق مارس - آذار ٢٠٠٣، فالمتطوعون لم تتبناهم الجامعة العربية، ولا الدول العربية، رغم ذلك تتشابه الحربان في مساوئ الزج بمدنيين إلى القتال، دون سابق معرفة، حيث بدا " أصحاب إقتراح الجامعة العربية لإرسال متطوعين إلى فلسطين، أشخاص يجهلون مبادئ الحشد، وقيمة العمليات الحربية،

Routledge, 2004, P9.

(١) عارف العارف، **النكبة؛ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٢**، ج١، بيروت، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٥٦، ص٣٩.

(٢) مروة جبر، **جامعة الدول العربية وقضية فلسطين (١٩٤٥ - ١٩٦٥)**، بيروت، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٨٩، ص٥٥ - ٥٦.

وسياسيون، لا يقصدون سوى الدعاية " [١]. وتكررت المأساه في الحرب العراقية، حيث استشهد عدد كبير من المتطوعين العرب، في الأيام الأولى للقصف، وهم يتدربون في معسكرات مكشوفة، أو وهم في خنادق ومعسكرات متقدمة[٢].

كان الإقبال كبيرًا على التطوع لصالح فلسطين. ويُذكر أن عدد المتطوعين الذين تم تدريبهم في معسكر الجيش السوري، في ١٩٤٨/٢/٨، بلغ ٤٩٧٦، كان منهم ٢٩٨٧ سوريًا، وفقًا لتقرير اللجنة العسكرية الموجه إلى جامعة الدول العربية[٣]. وكانت تعليمات قيادة الإنقاذ تقضي بقبول انضمام المتطوعين إلى قوات الإنقاذ، بصرف النظر عن جنسيتهم أو بلادهم، عندما تتوفر في المتطوع حسن النية والإخلاص[٤]. فكانوا خليطًا من السوريين، من دمشق، وحمص، وحماه، وحلب، ومن العراقيين، والفلسطينيين، وقليل منهم دروز، وأكراد، وشراكسة[٥]. وخدم معهم عدد من العسكريين الألمان، الذين فروا من معسكرات الاعتقال البريطانية. وكان هناك عدد أكبر من اليوغسلافيين. ونشط، أيضًا، البريطانيون الفارون من الخدمة، كخبراء لقيادات الكتائب[٦].

(١) هاني الهندي، **جيش الإنقاذ**، بيروت، دار القدس، ١٩٧٤، ص٥٧.

(2) http://www.alwihdah.com/view.php?cat=1&id=463,26/2/2008.

(٣) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص٥٠.

(٤) **المصدر نفسه**، ص٥٩.

(٥) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج١، ص٣٩.

(٦) **حرب فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٤٨: الرواية الإسرائيلية الرسمية**، ط١، ترجمة أحمد خليفة، نيقوسيا، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤، ص٢٢١.

اتفقت اللجنة مع وزارة الدفاع السورية على فتح أبواب معسكرات قطنا، لاستقبال المتطوعين[١]. ولم يكن صدفة وجود معسكر المتطوعين الرئيسي في سوريا، حيث اقتضت الضرورة العسكرية هذا القرار، ليتعادل دور سوريا مع دور ملك الأردن، عبد الله بن الحسين، بالإضافة لخروج الرأي العام السوري، مطالبًا بإتخاذ موقف[٢]. وتبع معسكر قطنا لقيادة اللواء إسماعيل صفوت باشا، قائد القوات العربية[٣].

ما كان جيش الإنقاذ ليؤلف من خليط من الناس، لولا أن إنجلترا وقفت تعارض تأليف جيش عربي من أبناء فلسطين، عندما أرادت الجامعة العربية، عند بدء القتال، تأليف مثل هذا الجيش[٤].

كانت فلسطين الإختبار الجوهري الأول لجامعة الدول العربية، الذي فشلت في إجتيازه، وتمادى فشلها في عدم تمكين الفلسطينيين من امتلاك مقاليد أمورهم، والتحكم في مصائر أنفسهم، فيما بعد[٥]. وعلى الرغم من مشاعر العرب تجاه فلسطين فإنهم كانوا ممزقين وضعفاء، بدرجة لا تستطيع التصدي لحركة الصهيونية الديناميكة[٦]، فلم يسع العرب لتنسيق

---

(١) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٩.

(2) Tal, op. cit., p11.

(٣) محمد حسين عريبي، **صراع الفدائيين؛ الفدائيون الليبيون في حرب فلسطين ١٩٤٨**، طرابلس، الفرجاني، ١٩٦٨، ص٨٧.

(٤) عارف العارف، **النكبة؛ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٢**، ج٢، بيروت، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٥٦، ص٤٦٣.

(5) Eugene L. Rogan, The War for Palestine: Rewriting the History of 1948, Cambridge, Cambridge university Press, 2007, p82.

(6) Issa Khalaf, Politics in Palestine:Arab Factionalism and Social Disintegration, 1939 - 1948, newyork, SUNY Press, 1991, p161.

جهودهم الدبلوماسية والحربية[١].

ليعتبر الصهاينة تلك الخلافات في صالحهم، كما زعم بروفيسير إيلان بابيه، المؤرخ الإسرائيلي بجامعة حيفا، " سيد الموقف كان الأنانية لدى كل دولة عربية بحثت عما تريده، فتحولت المعركة المقدسة ضد الصهاينة إلى إغتصاب كبير للأرض... فدخلت بعض الدول العربية المعركة ليس بغرض منع قيام دولة إسرائيل، إنما تقويض قيام دولة فلسطينية، ليتمكنوا من السيطرة على الجزء العربي فيها، عندما يعجز الفلسطينيين عن الحصول على دولة مستقلة " [٢] ليدفع المتطوعون العرب ثمن سير " كل دولة وراء أطماعها على رغم من محاربتهم نفس العدو " [٣].

تم تقسيم " جيش الإنقاذ " إلى كتائب، توالى دخلوها إلى فلسطين، من أول يناير/ كانون الثاني ١٩٤٨ حتى آخر فبراير/ شباط، كالتالى (فوج اليرموك الثاني، فوج اليرموك الأول، فوج اليرموك الثالث، فوج القادسية، فوج حطين، فوج أجنادين، فوج العراق، فوج الدروز)، ما كان ليزيد الفوج على السبعمئة فرد. وكثيرًا ما كان يهبط إلى خمسمائة[٤]. والتحقت بهذه الأفواج بطارية ونصف من المدفعية. وكان تعداد بطارية

(1) Ilan Pappé& others, The Israel/Palestine Question, USA, Routledge, 1999, P163.

(2) Ibd., P167.

(3) Rogan, op. cit., p82.

(4) Yoav Gelber, Palestine 1948: War, Escape And The Emergence Of The Palestinian Refugee Problem, 2NDEDETION, UK, Sussex Academic Press, 2006, P50.

obeikandl.com

المدفعية بين ١٢٠ - ٨١ جنديًا، ومعهم أربعة مدافع[١].

رافق الجيش وحدات صغيرة، لم تصل إلى مستوى الكتيبة، مثل " سرية الخماسين "، المشكَّلة من متطوعين، من مدينة الحمة السورية[٢]. فبلغ عدد الرجال الذين هبطوا فلسطين، في أواخر يناير/ كانون الثاني ١٩٤٨، ألفين، وتضاعف هذا العدد، فأصبح أربعة آلاف، عندما انتهى الانتداب[٣]. بينما كانت قوات الدفاع الإسرائيلي تزيد عن ٣٥.٠٠٠ فرد، ومع منتصف يوليو/ تموز بلغوا ٦٥.٠٠٠ فردًا، وفي ديسمبر/ كانون الأول وصلوا إلى ٩٦.٤٤١[٤].

كثيرًا ما كان يلتحق بأفواج " جيش الإنقاذ " سرايا، كسرية " منكو "، للمتطوعين الأردنيين، وسرية حلب، التي حملت اسم " أسود الشهباء "، والتحقت هاتان السريتان بفوج اليرموك الثالث. وهناك، أيضًا، السريتان اللبنانية والأردنية. كما جاءت كتيبتا " الحسين " و " القادسية ". وكانتا مكونتان من متطوعي العراق، ولحقت بهما كتيبة لبنانية ورابعة درزية، حملت اسم " جبل العرب " [٥].

أما على صعيد الحرب العراقية الأخيرة، فمتطوعوها كانوا حوالى ٨ آلاف، إذ لا توجد أرقام دقيقة حولهم - أغلبهم من الأردن، وسوريا، والخليج، ومصر، والجزائر، وتونس، ولبنان، واليمن، بالإضافة إلى

(١) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص٥٤.
(٢) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٢١.
(٣) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج١، ص٩٩.
(4) Rogan, op. cit., p81.
(٥) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٢١.

مجموعات من " القاعدة "، كونت خلايا[1]، وهؤلاء تشابهوا، من ناحية غرضهم الديني من الجهاد مع نضال الإخوان المسلمين في فلسطين ٤٨ مع الفارق. ولم يتأثر المتطوعون بخلافات الدول العربية، نظرًا لأنهم لم يأتوا بناء على رغبة عربية، لكنهم تأثروا بالأجواء العراقية نفسها، الحاوية على خلافات طائفية، وكان ذلك أسوأ، لأنه يحدث على أرض المعركة. وإن كان مجرد وجودهم المبعثر أكبر دليل على امتداد فشل الدول العربية، التي عجزت عن حماية فلسطين، فطوت يديها عن العراق، تاركة زمرة متطوعين لا يضمهم جيش واحد، يحاولون حماية العراق.

كتائب أخرى

لأجل فلسطين خرج، بخلاف " جيش الإنقاذ "، متطوعون من مصر. وكان المحرك الأساسي لخروجهم، إضراب يوم ١٧ سبتمبر/ أيلول ١٩٤٧، الذي دعت إليه أحزاب " مصر الفتاة " و " الإخوان المسلمين " و " الحزب الوطني " [٢]. وأبرق المرشد العام للإخوان، الشيخ حسن البنا، إلى مجلس الجامعة العربية، في ٩ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٤٧، يقول إنه على استعداد لأن يبعث، كدفعة أولى، بعشرة آلاف مجاهد من الإخوان. وطلب إلى حكومة النقراشي السماح لفوج من هؤلاء المجاهدين باجتياز الحدود، ولكن حكومة النقراشي رفضت الطلب. ولما طلبوا إليها أن تسمح لهم بالقيام برحلة علمية في سيناء، وألحوا في طلبهم، اضطرت

(1) http://www. alwihdah. com/view. php?cat=1&id=463, 26/2/2008

(٢) عبد الرحمن، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٥٥.

obeikandl.com

إلى الموافقة، فراحوا يتسللون إلى ربوع فلسطين، في نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٤٨[١]. ولحقت بهم دفعات أخرى، تسللت بطرق مختلفة.

مر شهران، بدأت فيهما حرب عصابات منظمة، بشرت بنجاح رائع، فعلمت الحكومة المصرية، وطلبت إلى المركز العام سحب قواته من النقب، ورفض الإخوان، فلم تجد الحكومة بدًا من قطع الإمدادات، والتموين، ومراقبة الحدود بشدة، لتضمن عدم وصول شيء منها للمجاهدين، حتى تضطرهم للعودة إلى مصر، ورأى المجاهدون أنفسهم يعيشون أيامًا طوالاً على التمر والماء، وعلى الخبز اليسير الذي يشترونه من نقود قليلة، يرسلها أهلوهم، بين حين وآخر[٢]. هنا بدا الضغط البريطاني، الذي قيد الدول العربية، فعجزت عن دعم متطوعيها.

لما رأت الحكومة المصرية أن لا مناص من دخول الحرب، فسمحت لهم بالتدرب على القتال في معسكر " الهاكستب " بمصر، وزودتهم بالأسلحة، وبمئة من جنود المدفعية، وعدد من الضباط[٣]. واضطر الإخوان إلى قبول ذلك، والعمل تحت قيادة الجامعة العربية، على أثر قيود الحكومة المصرية[٤]. ورفضها السماح لهم بالتدرب في معسكر قطنا السوري، وإصرارها على تدريبهم في مصر[٥]. تألفت قوات

(١) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج٢، ص٣٩٨.
(٢) كامل إسماعيل الشريف، **الإخوان المسلمون في حرب فلسطين**، القاهرة، مكتبة وهبة. ص٥٧.
(٣) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج٢، ص٣٩٩.
(٤) الشريف، **مصدر سبق ذكره**، ص٦٢.
(5) Gelber, op. cit., p57.

الإخوان من ثلاث كتائب؛ قاد إحداها البكباشي (المقدم) أحمد عبد العزيز، الذي استشهد في المعركة[١].

من مصر، أيضًا، أعلن حزب " مصر الفتاة " عن تأليف عدة أنواع للقتال من الوحدات، ضد الصهيونية في فلسطين[٢]. فانشأت كتيبة " القمصان الخضر "، وحدات متطوعين خاصة بها. وبحلول إبريل/ نيسان ١٩٤٧، دخل منطقتي غزة، والنقب، الآلاف من المتطوعين المصريين[٣].

كان هناك متطوعون آخرون، مثل الإخوان المسلمين السوريين، الذين كونوا سرية، قوامها خمسة وثمانون مقاتلاً. وهناك أيضًا سرية " منكو " للمتطوعين الأردنيين وقوامها مئة وخمسون مناضلاً، حطوا على جبل الزيتون، وسموا أنفسهم نسبة إلى التاجر إبراهيم منكو، الذي تولى الإنفاق عليها من ماله الخاص[٤].

لعبت جمعية " إنقاذ فلسطين " دورًا هامًا. وهي الجمعية العراقية التي كان أول أعمالها، في ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٧، دعوة الشعب العراقي إلى التطوع، فلبى دعوتها زهاء ١٥ ألف شخص. وما أن أرسلت ثلاثة أفواج منهم، حتى طلبت اللجنة العسكرية منها الكف عن إرسال عدد آخر. وتم إلغاء تلك الجمعية، التي ذكر رئيسها " أن الحكومة ألفت

(١) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج٢، ص٣٩٩.
(٢) عبد الرحمن، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٥٥.
(٣) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٢٤.
(٤) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج١، ص٣٢٦ - ٣٢٧.

هيئة جديدة، بدلاً منها، اسمتها (الجبهة المتحدة لإنقاذ فلسطين)، وتلك الجبهة لم تفعل شيئًا، سوى أن الأموال التي جُمعت لإنقاذ فلسطين، تم تجميدها على يدها! " [١].

عن قيادة جيش الإنقاذ

بداية من اجتماعات الجامعة العربية، رفض مفتي فلسطين السابق، المفتي الحاج أمين الحسيني، دخول قوات عربية لفلسطين، لكن تم تجاهل رأيه. وكل ما طالب به من دعم مادي وعسكري[٢]، وهو الخطأ الأكبر للجامعة، التي كان عليها دعم القوات المحلية، بدلاً من جلب قوات خارجية، تزيد من إرباك الموقف.

وفي محاولة أخرى، خاضها المفتي، لوضع " جيش الإنقاذ " تحت قيادة فلسطينية، يمثلها المقاوم الفلسطيني عبد القادر الحسيني، لكن السوريين اقترحوا فوزي الدين القاوقجي، بدعم من العراقيين، والأردنيين، فقُبل الإقتراح السوري[٣]. بينما عارض المفتي قيادة القاوقجي للميدان، قائلاً: " إنه لا يصلح لقيادة الميدان " [٤]. وأصر المفتي على تكوين قوى محلية فلسطينية، ينضم إليها متطوعون من باقي الدول العربية، يتولى المفتي قيادتها[٥]. فهل كان المفتي على صواب حيال القاوقجي، الذي أعلن: " في أول نيسان/ إبريل ١٩٤٨ أخذ الجو يصحو

(١) **المصدر نفسه**، ص٤٩ - ٥١.

(2) Rogan, op. cit., P82.

(3) Tal, op. cit., p18.

(٤) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج١، ص٤١.

(5) Gelber, op. cit., p47.

قليلاً، فقررت أن أخوض معركة قوية في أحد المستعمرات اليهودية في مرج بن عامر؛ واختـرت من بين هذه المستعمرات، أقواها (مشمارهاعميك)[١]. فكانت من أفدح الهزائم التي مُني بها " جيش الإنقاذ "، بناء على هذا القرار المتسرع!. فكان القاوقجي حلقة ضعيفة في القوات العربية، لأنه رأى: أن المعركة مع الصهاينة لن تكون قصيرة، أو سهلة، فعمل على تأجيلها[٢].

في الواقع، مثّل اختيار القاوقجي صورة أخرى للخلاف العربي - العربي، حيث أراد الرئيس السوري، شكري القوتلي، من اختياره للقاوقجي، " أن يوازن ما بين سلطة المفتي، والملك عبد الله في فلسطين " [٣]. وأختار القاوقجي مقر قيادته على سفح جبل حوريش، بين نابلس وجنين، حيث أقام محطة إذاعة، بثت برامج دعاية، حفلت بالمبالغات[٤].

عندما لم يتوصل المفتي و " جيش الإنقاذ " إلى اتفاق، لجأ إلى حل وسط، وهو اقتصار أعمال " جيش الإنقاذ " على المناطق الشمالية (الجليل والسامر). وأما المنطقة الوسطى، فعُهد بالدفاع عنها إلى فرق " الجهاد المقدس "، التي تدين بالولاء للمفتي.

كثيرًا، أيضًا، ما كان ينتقل المتطوعون من " جيش الإنقاذ " إلى فرق " الجهاد المقدس "، لأنهم كانوا ينظرون إلى الجيش الأول كدخلاء،

(١) د. خيرية قاسمية، **مذكرات فوزي القاوقجي ١٨٩٠ - ١٩٧٧**، ط٢، دمشق، دار التحرير، ١٩٩٥، ص٣٦٢.

(2) Rogan, op. cit., p85.

(3) Gelber, op. cit., p46.

(٤) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٢٢.

ومرتزقة، ورؤساء غير صالحين. وكان " جيش الإنقاذ " بدوره، يراهم جبناء، لا يصلحون للقتال[١]. فاتسمت علاقة " جيش الإنقاذ " والمقاتلين المحليين بغياب التعاون الجدي[٢].

بدا أسوأ مثال، ذلك الخلاف الذي حدث في معركة " القسطل "، حين اتصل المناضل الفلسطيني عبد القادر الحسيني، بالقاوقجي، طالبًا إمدادات من الأسلحة، ليتصدى بها للصهاينة. وعلى الرغم من توفير الجامعة العربية الأسلحة للقاوقجي، فإنه نفى للحسيني، وجود أسلحة كافية لديه. واستشهد المناضل الفلسطيني، في تلك المعركة، في إبريل/ نيسان ١٩٤٨، وكان من أهم رجال المفتي فاضطربت قواته، بعد الإستشهاد[٣].

ما حدث مرآه لخلافات الدول العربية، التي أرادت حسم المعركة لصالحها، فاختارت قيادة غير ملائمة، لم تنتبه لما تفقد من أرواح، ولا حتى لمعنويات المقاتلين، التي أثر عليها الإنسحاب من أرض المعركة، وترك الجرحى والشهداء، الأمر الذي قال عنه الزعيم اليوغوسلافي، تيتو: " في المعارك كنت آمر الرجال بحمل الجرحى، وعدم الإنسحاب دونهم، رغم عددهم الكبير، خصوصًا المصابين منهم بالتيفوس. كان هذا عبئًا جسيمًا، ولكنه دينًا لابد من الوفاء به نحو هؤلاء الرفاق، ليتأكد الجرحى أنهم لن يُتركوا وحدهم " [٤]. وما كان أقرب تلك المعركة - التي عملت على تحرير يوغوسلافيا - الدائرة في مطلع الأربعينيات، لتتعلم

(١) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج١، ص٤١.
(٢) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص٨٥.
(3) Rogan, op. cit., p86.
(٤) السيد فرج، **تيتو في الميدان**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨، ص٣٠٠ - ٣٠١.

منها القوات العربية، آنذاك.

ظروف مختلفة واجهها متطوعو العراق، مارس - إبريل ٢٠٠٣. فقد طفت الخلافات المحلية - بين الفرقاء السنة والشيعة والأكراد - على الساحة. ولم يعان المتطوعون من سوء القيادة، لأنهم لم ينتظموا في كتائب، أو جيش واحد، إنما وقعوا في أزمة عدم التنظيم مع الجيش العراقي، مثل ما ذكره العميد المهندس الركن سبأ عبد الله باهبري، في كتابه " حرب العراق: الحقائق والأوهام " عن حالات استبسالية قام بها بعض العراقيون المتطوعين، خاصة وهم يواجهون الموقف، وحدهم، بعد فرار القوات العراقية[١].كما ذكر أحد المتطوعين " أن الجيش العراقي أخلى مواقعه، دون إخطار المتطوعين " [٢].

فقد الكثير من المتطوعين أرواحهم، ليس بسبب إرتباك القتال، فحسب، بل بسبب الخيانة، أيضًا. وعن ذلك قال الكاتب اللبناني هشام عليوان، في كتابه " نهاية اللعبة " : " تم تجميع المتطوعين داخل ملعب الشعب، وأثناء التجميع رُصد المكان عن طريق العملاء. وقُصف الملعب بأكثر من ٢٥ صاروخًا، عشرات المتطوعين استشهدوا، في هذه الليلة... قرر بعض المتطوعين تنظيم أنفسهم بأنفسهم، فاتجهوا إلى منطقة نفق الشرطة، وتحصنوا هناك، حتى دهمت قوات الاحتلال المنطقة، ورفض المتطوعون العرب إخلاء النفق، واستشهدوا جميعًا، بعد معركة كانت من

(1) http://www. kkmaq. gov. sa/Detail. asp?InNewsItemID=142409, 25/2/2008.

(2) http://www. aljazeera. net/NR/exeres/18673EC8 - 1EB6 - 4844 - BFAF - 7331D5A6CD34. htm, 25/2/2008.

أشرس وأشرف معارك المقاومة العربية، خلال الحرب. حدث ذلك برغم ورود معلومات مؤكدة للمتطوعين بسقوط بغداد[١].

إمكانات المتطوعين

لم يكن ثمة نقص في المتطوعين لأجل فلسطين، وإن لُمس النقص في الضباط والرقباء، حيث ذكر تقرير عن قيادة " جيش الإنقاذ "، يقول: " إن مستوى التدريب أدنى من المتوسط، وقدرتهم القتالية منخفضة، ويرجع هذا الأمر إلى قلة عدد الضباط، وتسليم القيادة إلى ضباط متقاعدين، أو ضباط صغار، وحتى رقباء. والنظام العسكري مهلهل "[٢]؛ إذ لم يتجاوز عدد ضباط الإنقاذ المائة.

أما المتطوعون فكان بعضهم ذا خبرة سابقة في القتال، مثل المتطوعين الليبيين، حيث اشترك أكثرهم في الحرب العالمية الثانية مع الطليان، ثم انقلبوا عليهم، قبل أن يلتحقوا بالإنجليز[٣]. وكان الجندي منهم يتقاضى راتبًا شهريًا، قدره أربعة جنيهات ونصف فلسطيني. هذا عدا الطعام، والكساء، والسلاح. وتولت الجامعة العربية الإنفاق عليهم[٤].

لم يكن لدى رجال الإنقاذ خرائط، أو كشوف، أو إحصاءات، كما لم تكن لديهم وسائل قوية للاستخبارات. وما كانوا يعلمون عدد اليهود، ومستعمراتهم، وقت الهجوم، والدفاع لديهم، إلا النزر اليسير. وبدا جهل

(1) http://www.sidonianews. net/news/Books/Hisham%20Elewan2004. htm, 25/2/2008.

(٢) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٢٠.

(٣) عريبي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥١.

(٤) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج١، ص٣٩.

القيادة الفاضح في أساليب القتال الحديثة، وسوء الإدارة[١].

أما عن السلاح فقد عانى العرب، في فترة حرب ١٩٤٨، من مشكلة النقص الخطير في السلاح. وكان المفروض أن تقدم الحكومات العربية عشرة آلاف بندقية لفلسطين، حسب قرار جامعة الدول العربية بالقاهرة، في ١٧ديسمبر/كانون الأول ١٩٤٧[٢].

كان سلاح " جيش الإنقاذ " من نوعية رديئة، مصدرها بقايا مستودعات الحرب العالمية الثانية[٣]، كما كان خليطًا من أنواع مختلفة من البنادق، الإنجليزية، والفرنسية، والبلجيكية، ونسبة قليلة من مدافع الهاون المختلفة الأنواع، والعيارات، وقليل من الرشاشات المختلفة بأنواعها، مع بعض المصفحات، التي كان أغلبها من المغانم اليهودية. وكانت الأسلحة، على قلتها، غير منسقة في أنواعها، ولم تكن مصنَّفة، بحيث يُسلَّح كل فوج بأكمله بنوع واحد من السلاح[٤]. فصنع ذلك مخزونًا مختلفًا وشاذًا، جعل صيانتها أمرًا مستحيلاً، غير أن الأسلحة كانت قليلة الكفاءة، بخلاف إنه كان هناك صعوبة في نقل الأسلحة للمقاتلين.

لم يكن هناك نظام لتزويد جنود الخطوط الأمامية بالذخيرة، الطعام، الماء، أو المساعدات الطبية، وتحت وطأة هذه الظروف لم يستطيعوا

(١)العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج٢، ص٤٦٠.
(٢) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص٧٠.
(٣) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٢٠.
(٤) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص٧١.

استكمال المعارك لأكثر من ساعات. ويذكر أحد المحاربين أنه في إحدى المعارك وصل تاكسي لرام الله، وركابه، يشترون الرصاص من على الرصيف، ليزودوا بها المقاتلين، الذين نفذت ذخيرتهم[١].

رغم كل تلك المشكلات، كانت لدى أفراد " جيش الإنقاذ "، الشجاعة، والترابط، التي جعلت الضباط البريطانيين يعتبرونه " درجة مذهلة من الإنضباط "، ويعتبرون نظامه " أعلى شيء للآن، شوهد لدى العرب " [٢]. وأكد القاوقجي ذلك، قائلاً: " كان الجيش لا يملك من القوى المادية بالنسبة لما يملكه اليهود، جزءًا مما ينبغي لجيش أن يملكه، لكنه كان يتمتع بحماسة واندفاع شديدين في القتال. وكان يقاتل، ليلاً ونهارًا. حتى أصيب كثير من الجنود بالديزنطاريا، والأمراض الصدرية " [٣].

كما حاولوا ضبط مجريات الأمور فأنشأوا محكمة عسكرية خاصة ترأسها، في معظم الوقت، ضابط حقوقي متطوع. وكانت إحدى أهم القضايا التي عالجتها قضية ضابطين - عراقي وفلسطيني - أحيلا إليها بتهمة إرتكاب تجاوزات وجرائم ضد مواطنين فلسطينيين في الجليل. وأصدرت حكمًا بإعدامهما رميًا بالرصاص[٤].

---

(1) Gelber, op. cit., p88.

(2) Ibd., P52.

(٣) جبر، **مصدر سبق ذكره**، ص٥٧.

(٤) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص٧٧ - ٧٨.

أهم المعارك

من جديد، تدخلت بريطانيا حين واجهت القوات العربية في فلسطين، في البداية، بإعلان أنهم لن يسمحوا بأي إجراءات عسكرية، قبل انتهاء مدة انتدابهم، في يوم ١٩٤٨/٥/١٥. وأقرنوا القول بالفعل، عندما هاجمت الطائرات المصرية مطارًا يهوديًا، بالقرب من حيفا، إذ تصدت لها الطائرات الإنجليزية، وغيرها من الحوادث التي تدخلت القوات الإنجليزية فيها لصالح اليهود(١). فكان يُستخدم المتطوعون في التوغل في المناطق العربية، ليجسوا بهم النبض: نبض الإدارة البريطانية. وكانت تأتيهم الأومر بألا يخوضوا معركة، إلا للدفاع عن النفس، ومثال على ذلك ما قامت به مجموعة متطوعين ليبيين، من حراسة مبنى حكومي (مبنى البوليس)، ولا شيء، غير هذا، خشية أن يخرج الإنجليز منه، ويسلموه للصهاينة(٢). وإن واجهوا، لأجل القيام بالدفاع، افتقار القوات للإسلحة الدفاعية، كالمدافع الخاصة، والأسلحة المضادة، والدروع، وغير ذلك مما يتطلبه أمر الدفاع(٣).

لعل أهم المعارك التي خاضها " جيش الإنقاذ " كانت، على التوالي، معركة الزراعة، جنوبي بيسان، معركة النبي صموئيل، شمالي القدس، معركة مشمار هاعميك، في مرج برعام، معركة يازور، عند مدخل يافا، معركة يافا، معركة صفد، معركة يالو، عند باب الواد، معركة عكا،

(١) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص٣٤.
(٢) عريبي، **مصدر سبق ذكره**، ص٩٩.
(٣) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص٣٥.

ومعركة الشجرة[١]. كما كانت هناك معركتا المالكية، الأولى والثانية، ونيفي يعقوب، وفيهما تمكن الجيش من تحقيق مهمته[٢].

وقعت معركة الزراعة، في فبراير/ شباط ١٩٤٨، بين الصهاينة وفوج اليرموك، وهو أول أعمال الفوج، حين هاجم مستعمرة الزراعة الكبيرة، التي أحاطها الصهاينة بخنادق، وسلطوا عليها الماء، حتى أصبحت مستنقعًا، يكاد يكون من المستحيل اجتيازه، إلا بالدبابات. وكان الجنود العرب يجهلون طبيعة الأرض، وقدره الأهالي على القتال، كما أنهم سيقوا إلى الميدان، قبل أن يتموا تدريبهم، وكان عتادهم قليلاً. ومع هذا، فقد صدرت الأوامر بالزحف، وما أن اقتربوا، حتى هاجمهم الصهاينة وغاصوا في الطين، ساعتها صدرت لهم الأوامر بالإنسحاب[٣]. وفي معركة الجليل، أيضًا، كانت قوات " جيش الإنقاذ " تعاني من ضعف بسبب إنتشارها على جبهات واسعة، بالإضافة إلى عدم وجود احتياط عام. وكان موقف العتاد محزنًا جدًا، فلم يكن يكفي لمعركة يوم واحد، حتى ولا لبضع ساعات. وبعد قتال دام ١٢ ساعة، صدرت أوامر الإنسحاب[٤].

لم تكن معركة الزراعة، وحدها المحققة لخسائر فادحة، بل ثمة

---

(١) عارف العارف، **النكبة؛ سجل الخلود؛ اسماء الشهداء الذين استشهدوا في معارك فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٥٢**، ج٦، بيروت، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٥٦، ص٢٧٦.

(٢) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص٨٩.

(٣) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج١، ص١٠٥ - ١٠٦.

(٤) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص١٠٧ - ١٠٩.

معركة " مشمار هاعميك "، حيث كلف القاوقجي " جيش الإنقاذ " بإلقاء ٤٥٠ قذيفة، في خمسة أيام على تلك المستعمرة لكنه لم ينل منها شيئًا، ففضحت المعركة " جيش الإنقاذ " [١]. ولم تستطع أن تغطي عليها برامج المبالغة والدعاية، التي كانت تبثها محطة إذاعة جيش الإنقاذ[٢]. ومن أهم أسباب الهزيمة نجاح الإنجليز في إقناع القاوقجي بأن يمنح الصهاينة هدنة ٢٤ ساعة، ثم مُدت يومًا آخر. كانت النجدات تتدفق على المستعمرة، والمناطق المحيطة، بقصد تطويق قوات الإنقاذ، وإبادتها[٣].

أما الإخوان فكانوا، في الفترة الأولى من الحرب، يجهلون المستعمرات اليهودية، وطرق تحصينها، كما كانوا يعانون من نقص في الأسلحة والمعدات[٤]. فكانت هزيمة معركة " كفار داروم "، التي لم يبدأ فيها الإخوان المسلمون الهجوم والقصف في الموعد المقرر، حتى وضح النهار، وأصبح في مقدور العدو أن يرى القوات، فحصدوهم بالبنادق والرشاشات[٥]. وأدرك الإخوان أن أفضل السبل هي عدم المهاجمة إنما إرغام الصهاينة على الدخول في معركة خارج مستعمراتهم، في ساحة مكشوفة. وفعلاً انقسمت الوحدات، مباشرة، بعد هذا الفشل إلى عصابات صغيرة[٦].

(١) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج٢، ص٤٦٠.
(٢) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٢٣.
(٣) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص٩٦.
(٤) الشريف، **مصدر سبق ذكره**، ص٨٠.
(٥) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج٢، ص٤٠٠.
(٦) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٢٤.

مثلت معركة " باب الواد " معركة أخرى هامة، عجز المناضلون المحليون، وحدهم، عن استكمالها، فدعمتهم فصائل من " جيش الإنقاذ "، في مايو/ آيار ١٩٤٨. وكان من المفترض أن يبقى " جيش الإنقاذ "، إلى حين وصول الجيش العربي، لكنه انسحب قبل وصوله. وإن تمكن الجيش العربي، بعدها، من تدارك الموقف وإلحاق خسائر باليهود[١]. معركة المالكية، أيضًا، لم يستثمرها " جيش الإنقاذ " جيدًا، فبعد قتال دام خمس ساعات انسحب الصهاينة، ودخل جيش الإنقاذ. ولكنه توغل في الجليل، وترك مجموعة المستعمرات إلى يسار قواته. فيما كانت القوات السورية تقاتل، يومها، على مقربة منه. ولو تقدم الإنقاذ نحو الشرق، بدلاً من التوجه نحو الجنوب لاستطاع تأمين الاتصال بالجيش السوري[٢].

أما معركة الشجرة، فكانت أدق المعارك، تنظيمًا، وأكثرها تضحية، إذ كانت خسائر جيش الإنقاذ، حين انسحب، ألفًا، بين قتيل وجريح[٣]. وقد استمرت الهجمات، إلى أن سرت الهدنة الأولى[٤].

إن فشل المتطوعين في فلسطين لم يعن قصورًا في إمكاناتهم، بقدر ما عنى تكاتف مجتمع دولي مع العصابات الصهيونية، مثل أمريكا، التي اعترفت بقيام الدولة الإسرائيلية بعد دقيقة من إعلانها، كما وقفت بريطانيا إلى جوار الجانب الصهيوني، ليصبح الفشل بذلك نصيب

(١) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج٢، ص٤٩٩ - ٥٠٠.
(٢) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص١٠٤ - ١٠٦.
(٣) عارف العارف، **النكبة؛ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٢**، ج٣، بيروت، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٥٦، ص٦٣٧.
(٤) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص٥٢٤.

العرب، الذين عجزوا عن كسب المجتمع الدولي، الذي حتى حينما تدخل بتصدير بعض الأسلحة إلى العرب، كان يُكتَشف بأنها فاسدة، مثلما " ثبت لدى فحص بعض البنادق السعودية والمصرية أن عددًا منها لا يصلح للإستعمال " [١]. مع الوضع في الإعتبار أن بريطانيا كانت المستعمر الأساسي لتلك البلدان، وبالتالي هي التي تضخ لهم المنتجات والأسلحة! بالإضافة لذلك، كانت المعركة الفلسطينية ساحة أخرى للخلافات العربية.

تطورت الخلافات العربية، مع الوقت، لتصل إلى صمت عربي، أسهم هذه المرة في الهزيمة العراقية، مارس - إبريل ٢٠٠٣، رغم أداء المتطوعين العرب المشرِّف في العراق - الذي ذكر الكاتب هشام عليوان في كتابه " نهاية اللعبة " - أمثلة عليه " في مواقع مشهودة في البصرة، والخصيب، والنجف، وكربلاء، والكوت، وفي الطريق إلى بغداد، وفي المطار، بالمعركة الأولى والثانية، ثم في نفق الشرطة ومعركة الأعظمية بعد سقوط العاصمة " [٢]. لكن للأسف ذلك لم يمنع سقوط العاصمة العراقية تمامًا مثل فلسطين.

بداية النهاية

أثناء الهدنة الأولى، تم إعفاء القاوقجي، وكلف العقيد أنور بنود - من الجيش السوري - بقيادة وحدات جيش الإنقاذ بفلسطين[٣]. وأعيد تشكيل جيش الإنقاذ، أثناء الهدنة، ليصبح مكونًا من " لواء اليرموك الأول، لواء

(١) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج١، ص٥٩.

(2) http://www. sidonianews.net/news/Books/Hisham%20Elewan2004. htm, 25/2/2008.

(٣) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص١١١.

اليرموك الثاني، لواء اليرموك الثالث " [١].

في الوقت نفسه كان أحمد عبد العزيز - الذي استشهد فيما بعد - يجمع قواته المبعثرة من الإخوان المسلمين، ويحشدها في بيت لحم[٢]. وبينما كان الإخوان يعملون في تموين معركة " الفالوجا "، ويدافعون عن مناطق " بيت لحم "، و " الخليل "، إذ اتخذ النقراشي قراره بحل جماعة " الإخوان " [٣]، لإعتقاد الملك فاروق بأن مقاتلي الإخوان إن عادوا إلى مصر منتصرين، فسوف يعملون على قلب نظام الحكم، واستبدال الجمهورية بالملكية[٤].

عندما اجتازت الجيوش العربية حدود فلسطين، في ١٥ مايو/ أيار١٩٤٨، تقرر سحب " جيش الإنقاذ " منها، على أن يعاد تنظيمه في سوريه، ولكن بعد أن أصابه فشل في المعارك التي خاضها[٥]. وفي مايو/ أيار ١٩٤٨ تولى الملك عبد الله القيادة العليا للجيوش العربية، وأعلن حل " جيش اللإنقاذ "، وأحل القوات العربية النظامية محله[٦].

التحقت البقية الباقية من جيش الإنقاذ بالجيش السوري، تحت اسم " لواء اليرموك "، إلى أن حُل، وانتهى بذلك " جيش الإنقاذ " [٧]. الذي لم

(١) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج٣، ص٦٣٧.
(٢) الشريف، **مصدر سبق ذكره**، ص١٣٠.
(٣) **المصدر نفسه**، ص١٤٦.
(٤) عارف العارف، **النكبة؛ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٢**، ج٤، بيروت، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٥٦، ص٨٤٤.
(٥) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج٢، ص٤٥٩.
(٦) الرواية..، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٢٧.
(٧) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج٣، ص٦٣٨.

يتجاوز عدده، يومًا، ثلاثة آلاف مقاتل، ومعداته لم تتجاوز عشرة بالمائة، كما ينبغي لجيش يشغل جبهة واسعة، كجبهتة بالنسبة لعدده[١]. أما عن الإخوان فانضم بقيتهم إلى الجيش المصري، في ١٥ مايو/ آيار ١٩٤٨[٢].

بهذا كان مجيء الجيش العربي محاولة لإصلاح الموقف، بعد سحب كتائب المتطوعين، لكنه عجز عن إنجاح مهمته، بينما في كفة الحرب العراقية الأخيرة اختفى الجيش العراقي الموجود، وبقي المتطوعون، وحدهم، ففشل صمودهم، أيضًا. هكذا فالمعركتان تتماسان في فكرة وجود متطوعين على أرض معركة، اكتنفتها خلافات كثيرة، وعدم تنسيق، وعدم إستعداد كاف، كأننا لا نستفيد من تجارب التاريخ.

دروس التجربة

لعل من الإيجابيات القليلة في حرب ١٩٤٨، ما قام به قادة الإخوان المسلمين، عند استشهاد أحمد عبد العزيز بتاريخ ١٩٤٨/٨/٢٢ قرب عراق المنشية، فانتدبوا غيره، ثم عادوا فسحبوه، لعدم انسجامه مع الضباط الآخرين، وأرسلت البكباشي (المقدم) عبد الجواد طبالة[٣]. وأمام هذه المحاولة لحسن اختيار القيادة، نجد تجربة القاوقجي، الذي كان يرى الكثير من هزائم جيش الإنقاذ نصرًا مبررًا، " إنه نجح في قطع

(١) قاسمية، **مصدر سبق ذكره**، ص٣٨٢.

(2) Haim Levenberg, Military Preparations of the Arab Community in Palestine, 1945 - 1948, USA, Routledge, 1993, P178

(٣) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج٢، ص٤١٣.

المواصلات بين المستعمرات اليهودية في المنطقة " [١].

لعل أهم الأشياء التي افتقدتها التنسيق على كافة مستوياته، لتفادي الخلافات، كالتنسيق بين جيش الإنقاذ والقيادات في الخارج. فروى القاوقجي: " في وسط القتال، كنت أطلب عتادًا، ومع ذلك لم ترسل القيادة العامة عتادًا، ولا أخبارًا عن العتاد. فأخذنا، كالعادة، نعد ما يلزم من ترتيبات، ونجمع ما يمكن جمعه بالتقتير من جبهات مختلفة " [٢].

كما كانت هناك أولوية للتنسيق الداخلي بين المتطوعين، والمقاومين المحليين. فإن جيش الإنقاذ كان يتعامل مع المحليين بريبة، ويغلقون الطرقات أمامهم، وهم عائدون لمنازلهم، أو يتصدون للباعة، وقاموا بعمل حظر تجول[٣].

كان من الطبيعي أن تحدث خلافات، في ظل الوقت المشحون بالمعارك، لكن ليس بصورة كبيرة، لأنه لا يُعتقد أن رغبة تحرير فلسطين - التي جمعت المتطوعين العرب، رغم انفراط حكوماتهم - ستسول لهم ارتكاب حماقات. كما أنه لابد أن الفلسطينيين كانوا يرحبون بقدومهم، رغبة في التخلص من العدوان الصهيوني. وأبرز الأمثلة على ذلك، ما كان يحدث في الحرب العالمية، حين اعتقدت بعض الشعوب العربية، أن انتصار ألمانيا سيخلصها من الإستعمار البريطاني، فرفع البعض شعار: " إلى الأمام يا رومل ". مرحبين بقواته لعلها تساعدهم.

عانت المعركة، أيضًا، من سوء تقدير الموقف الصهيوني، ومثال على ذلك، ما ذكره أحد المسؤولين العسكريين، في جيش عربي كبير: " إننا ذاهبون في نزهة عسكرية إلى تل أبيب، لا أكثر.. فالناس في قريتي،

(١) الهندي، **مصدر سبق ذكره**، ص٩٦.
(٢) قاسمية، **مصدر سبق ذكره**، ص٣٧٦.
(3) Gelber, op. cit., p53.

حين يقيمون الأفراح والليالي الملاح، يطلقون الرصاص في الهواء، دليلاً على فرحهم، وعلامة على ابتهاجهم، وإن الأسلحة التي معكم تكفي جدًا لهذه المهمة الهينة اللينة " [١].

هذه المهمة الهينة في فلسطين، هي التي أدت لهزيمة " كفار داروم "، التي لم يكن الإخوان المسلمين متأكدين، خلالها، من دخول المشاة إلى المستعمرة، ولهذا لم يطلبوا من رجال المدفعية التوقف عن القصف، مما أدى إلى استشهاد أربعين مجاهدًا من الإخوان. واضطر هؤلاء إلى الإنسحاب، وفي أثناء إنسحابهم، راح الصهاينة يضربونهم من الخلف، فبلغ عدد الشهداء أربعة وسبعين، والجرحى خمسين. فأدرك أحمد عبد العزيز، بعدها، أن مهاجمة المستعمرات من غير دبابات، ضرب من الانتحار، ذلك لأن المستعمرات محصنة، تحصينًا تامًا، فاستخدام تكتيك حرب العصابات![٢].

يبقى سؤال: هل كان الإعداد الجيد لمثل تلك المعارك، وحسن دراسة وتقييم الموقف، سينقذ كثيرين ممن استشهدوا؟ الواقع أن هؤلاء المتطوعين العرب أسلموا أرواحهم لأجل فلسطين، أو العراق، منذ البداية، وانتصروا لأنفسهم، في النهاية، حتى لو كان ذلك في معارك، ردد التاريخ أن العرب مُنوا فيها بالهزيمة. لتتحد معركة فلسطين بالعراق، تحت اسم " طاهر حسين عثمان "، الشاب الفلسطيني الذي ولد في أحد مخيمات لبنان، بعدما فقد وطنه في حرب ٤٨، فعاش في الدنمارك، وقُتل وهو في طريقه للتطوع في الحرب العراقية الأخيرة.

* * *

(١) الشريف، **مصدر سبق ذكره**، ص٧٩.

(٢) العارف، **مصدر سبق ذكره**، ج٢، ص٤٠١ - ٤٠٢.